كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

الصف الثاني / التاريخ الأموي.

أ.د. حَمّـــاد فرحان حمادي المحمدي. Prof. Dr. Hammad f Hammadi

محاضرة بعنوان

ظهور الخوارج وموقفهم من السلطة الأموية . The emergence of the Kharijites and their position on the Umayyad authority

كان لمعركة صفين نتائج بالغة الخطورة على الوضع الاسلامي العام ، وهي خطوة أخرى في الطريق الذي بدأ بقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه . فحينما لاح خطر الهزيمة ، رفع أهل الشام المصاحف على أسنّة رماحهم ،عملا بمشورة عمرو بن العاص. ، فأحدثوا في أهل العراق الأثر المطلوب ، لا سيما القرّاء الأتقياء منهم . ولقد فطن الخليفة علي رضي الله عنه للخدعة ، وحذّر أتباعه من المكيدة ، إلّا أنه لم يستطع أن يزيل ذلك الأثر من النفوس ، فضلا عن العقول ، بل أنّ نفرا من رجاله هددوه إذا لم يستجب لكتاب الله . وهكذا لم تذهب كثرة أصحابه مذهبه ، واستكرهته على غير ما أحب .

وبرزت جماعة في صفوفه عارضت التحكيم ، وأنكرت علي القبول به ، وألحّوا في أن يمضي بهم إلى القتال حتى ينفذ حكم الله ، وهؤلاء هم الخوارج .

ويبدو أن بعض الذين قبلوا إيقاف القتال أدركوا أنهم تسرّعوا كثيرا في هذا الأمر الذي حمل في طياته بشائر النصر لمعاوية ، مما يهدد مصالحهم بشكل أعظم من ذي قبل ، لذلك ، أعلنوا توبتهم ، وطالبوا باستئناف القتال ومارسوا الضغوط المختلفة على علي كي يستأنف الحرب بعد أن يعلن توبته . إلّا أن علياً رفض الإذعان ، فما كان من هؤلاء إلّا أن أعلنوا التمرد عليه ، وانحازوا إلى جماعة الخوارج .

نتيجة لهذا التباين في المواقف انسلخ من جيش علي اثنا عشر ألفاً ، فلحقوا بحروراء ، واعتزلوا فيها ، فعرفوا بالحرورية .

ومنذ ذلك اليوم نشأ في الإسلام حزب جديد كان له في تاريخه أثر بعيد في الناحيتين السياسية .والدينية.

ويبدو أن معاوية كان أبغض إلى الخوارج من علي لاعتقادهم بأنه انحرف عن المسار الإسلامي . ومن جهة أخرى ، فقد اقلق أمرهم الخليفة الأموي بفعل عدم تجاوبهم مع الحلول السلمية ، فاضطر أن يواجههم بالعنف .

من الملاحظ أنه طرأ تعديل على وضع الخوارج ترافق مع التعديل الذي ط أ على وضع الخلافة حين انتقلت من الكوفة إلى دمشق ، وقد تمثّل بانتقال مركز الثقل الى دمشق ، وقد تمثّل بانتقال مركز الثقل للنشاط الحروري من الكوفة إلى البصرة ، وتمزق الحركة الخوارجية قبل نضوجها ، وأخذها شكل الحزب العقائدي .

لذلك لا يمكننا إلّا أن نتحدث عن فرق عقائدية للخوارج ، متنافرة ومتعادية ، مما أثّر سلبا على قدراتهم العسكرية ، وأتاح للسلطة الأموية فرصة القضاء عليهم . وكانت معركة النهروان المعركة الأولى والأخيرة التي اجتمع فيها الخوارج تحت قيادة واحدة ضد عدو واحد ، وتفرّق شملهم بعد ذلك .

وعارض خوارج الكوفة ، بقيادة فروة بن نوفل الاشجعي ، مبدأ الصلح الذي تم بين الحسن عليه السلام ومعاوية ، فخرجوا في وجه هذا الأخير ، وتقدموا نحو الكوفة ، ونزلوا النخيلة ، وجرت عدّة اصطدامات بينهم وبين الق. ى العسكرية التي كان يرسلها معاوية لإخضاعهم .

وتعدّ الحركة التي قادها المسترد بن علقمة في عام (43هـ) من اكبر حركاتهم ضد معاوية ، وقد اصطدم بهم الوالي الأموي على الكوفة ، المغيرة بن شعبة ، في المذار بين واسط .البصرة وقتل زعماءهم ، ونجح في وضع حد لنشاطهم ، كما أبعد خطرهم عن الكوفة . وساعده في مهمته : التوزيع القبلي للخوارج وأهل الكوفة ، واتجاه أهل الكوفة نحو التشيع لآل علي . والجدير بالذكر أن الخوارج حاولوا أكثر من مرّة ، استقطاب الكوفيين للقتال في صفوفهم ، فأخفقوا . بل أن الكوفيين آثروا القتال ضدّهم مدفوعين بمصالحهم السياسية.

ولزم خوارج الكوفة الهدوء لسنوات عدّة ، إلى أن سنحت لهم فرصة أخرى للثورة على الحكم الأموي بقيادة حيّان بن ظبيان السلمي في عام (58هـ). وانتهت هذه الثورة بمقتلهم جميعاً في العام التالي في معركة جرت في بانيقيا .

ونهج خوارج البصرة نهج اخوانهم خوارج الكوفة ، فلم يركنوا إلى الهدوء رغم النكبات التي حلّت بهم . وتفاقم خطرهم مرّة أخرى في العراق في عام(41هـ) فخرجوا بقيادة سهم بن غالب والخطيم الباهلي ، فتصدى لهم الوالي الأموي إبن عامر وأخضعهم . ويبدو أنه تساهل معهم وغلب عليه جانب اللين ، فاضطر معاوية إلى عزله وولّى زياد بن أبيه البصرة في عام(45هـ) فتعقبهم بشدّة وأخذهم بالشبهة وقتلهم بالظنّة حتى تمكن من اخضاعهم ،إلّا أنهم نشطوا بعد وفاته في عام(53هـ) فلاحقهم

وسجن بعضهم وقتل البعض الآخر . ولم يزل عبيد الله والياً على البصرة يطارد الخوارج ويضيّق عليهم حتى توفى معاوية .

وهكذا لم تهدأ بلاد العراق تماماً طوال عهد معاوية رغم شدّة الولاة وعنفهم .

الخوارج في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان .

ظلّ الخوارج ، وهم القوة التي بقيت خارج نطاق التطاحن الدموي ، يعارضون الأمويين ، لأنهم اعتبروهم مغتصبين للخلافة ، كما كان لحالة الاضطراب السياسي التي شهدها العالم الإسلامي ، وسياسة الحجاج القاسية في العراق ، دور في تشجيعهم على تحدّي الحكومة المركزية . وقد ابتكروا نظاماً جديداً في التعبئة العسكرية يعتمد على الحركة السريعة والاحتفاظ بزمام المبادرة ، مما أعطى حركتهم بعض الاستمرارية .

وكان أول موقف سياسي منظّم اتخذه الخوارج هو التحالف مع عبد الله بن الزبير في مكة . ولم يلبث هذا التحالف أن انفرط بعد أن تبين لهم أن ابن الزبير يُخالفهم الرأي ، فغادروا مكة ، وانقسموا على إثر ذلك ، إلى عدّة فرق نتيجة وقوع صراعات داخلية بين صفوفهم ، تعود في جوهرها إلى اختلافات سياسية وعقائدية وقبلية في آن واحد ، لعلّ أشهرها الأزارقة والصفرية والأباضية .

أولاً: الخوارج الأزارقة:

استغل نافع الأزرق الأوضاع السياسية المتردية التي كانت تمر بها الخلافة الأموية ، فمارس نشاطاً عسكريً مكثفاً وعنيفاً ، واستولى على البصرة ، فجبى خراجها وانتشر عماله في السواد . ويبدو أن الجو السياسي العام في البصرة لم يكن مشجعاً على استلامه الحكم ، بعد اتفاق البصريين على التصدي له ، لذلك اكتفى بإخراج أنصاره من السجون وغادر إلى الأهواز ، حيث أخذ يُصعّد منها هجماته العسكرية.

وقتل نافع بن الأزرق في إحدى حملاته على البصرة في (عام 65هـ) فخلفه عبيد الله بن الماحوز . فيهذا الوقت ، عهد ابن الزبير إلى المهلّب بن أبي صفرة بقتال الخوارج . وتمكن هذا القائد من ابعادهم عن الأهواز ، وقتل ابن الماحوز خلال الاصطدامات .

وعندما دخل العراق تحت سيادة عبد الملك ، بعد مقتل مصعب بن الزبير ، أضحى من الضروري اتخاذ اجراءات فعّالة ومباشرة ضد الأزارقة ، خاصة بعد سيطرتهم على الأحواز ، مشكلين بذلك تهديداً مباشراً للبصرة والمناطق المجاورة لها .

ومن جهته ادرك عبد الملك جسامة الخطر الذي يشكله هؤلاء على الحكم الأموي في العراق ، لذلك تفرّغ لقتالهم . فعيّن المهلب بن ابي صفرة لمحاربتهم ، بعدما استثناه

من العقاب الذي أنزله بأعوان ابن الزبير ، على اعتبار أنه صاهب خبرة في حربهم .

واظهر المهلب إخلاصاً في حربه ضد الخوارج ، وتمكن بعد سلسلة طويلة من الاصطدامات معهم ، استمرت على مدى ثلاث سنوات ، من القضاء عليهم في منتصف عام(78هـ). وقد ساانده والٍ صلب هو الحجاج بن يوسف الثقفي .

ثانياً/ الخوارج الصفرية.

في الوقت الذي كان فيه الخوارج الأزارقة يهددون البصرة ، كان الخوارج الصفرية يهددون الكوفة ، منطلقين من نواحي الموصل ، وتمكنوا منذ عام (76هـ) من اجتياح العراق ، من الموصل حتى الكوفة والمدائن وخانقين ، بعد أن تغلّبوا على الجيوش الأموية التي كانت تتصدى لهم .

ويبدو أن قوّتهم كانت تفتقر إلى الطاقات الضرورية للمضي إلى أبعد من ذلك ، وما كانت ترمي إليه في تلك المدّة الزمنية هو تحقيق انتصارات سريعة لكن مرحلية تستنزف القوى الأموية .

ومن جهتها فإن الادارة الأموية سخّرت قوى شامية للتصدي لقوّة الخوارج الصفرية بعد فشل القوى العراقية في الصمود في وجههم . وقاد الحجّاج عمليات التصدي والمطاردة ، وتمكن بعد سلسلة من المعارك ، من التغلب عليهم ، كان آخرها معركة نهر الدجيل في عام (77هـ) ، إذ لم يصمد فيها الخوارج ، بقيادة شبيب بن يزيد بن نعيم ، وانسحبوا عبر جسر من القوارب أقاموه على نهر دجلة .وكان شبيب اوّل المنسحبين ، فغرق وهو يعبر النهر.

شكّل موت شبيب نقطة تحوّل هامة في حركة الخوارج الصفرية ، لأن خليفته البطين لم يكن له الحماس نفسه بالرغم من استمرارية تحدّيه للدولة ، لكن سرعان ما ألقي القبض عليه ، وقتل بأمر الحجّاج ، فطلب الصفرية عندئذ الأمان فمنحوا إيّاه .

ثالثاً/ خوارج اليمامة.

هاجم خوارج اليمامة ، بقيادة نجدة بن عامر الحنفي منذ عام(65هـ) ، البحرين ومناطق أخرى على الشريط الساحلي الشرقي للجزيرة العربية . فاشتدت شوكتهم وهددوا بشكل مباشر ، سلطان ابن الزبير الذي لم يجرؤ على التصدّي لهم بسبب ضعفه ، وبدا نجدة مساوياً في نفوذه لكل من عبد الملك وابن الزبير .

وعندما دخل العراق في حوزة عبد الملك ، تصدّى لخطر خوارج اليمامة ، وكانوا بقيادة أبي فديك عبد الله بن ثور ، فجرّد عليهم حملة عسكرية اصطدمت بهم في المشقر في البحرين ، دارت الدائرة عليهم ، وقتل أبو فديك .اضطر أتباعه إلى التسليم.

وبهذا الشكل كان سقوط الخوارج النجدية في اليمامة والبحرين، إذ لم تقم لهم قائمة بعد .